

مظاهر الإحتفال بعيد يناير عند الأمازيغ  
دراسة تفسيرية للمعتقدات والطقوس والشعائر منطقة بني سنوس تلمسان -أمموجا-

## LAS MANIFESTACIONES DE LA CELEBRACIÓN DE LA FIESTA DE ENERO DE LOS *AMAZIGH*

Un estudio interpretativo de creencias, rituales y leyendas  
en la zona de Beni Snous, Tremecén, como modelo

نصيرة بكوش ونعيمة رحماني

NECERA BEKKOUCHE Y NAIMA RAHMANI

*Universidad de Tremecén*

### ملخص

ينصب اهتمامنا في هذه الدراسة على الكشف عن مظاهر واسباب ودواعي الإحتفال بعيد يناير في منطقة بني سنوس، وعرض بعض الطقوس والشعائر الخاصة بهذا اليوم العظيم، والتي تفسرها بعض المعتقدات التي هي وليدة الخرافات والأساطير الشعبية المعروفة في هذه المنطقة. ولكن قبل الحديث عن هذا الإحتفال والطقوس المرافقة له يستحسن بنا اولا تعريف بعض المصطلحات وتحديد الموقع الجغرافي للمنطقة وأصلها.

**الكلمات المفتاحية :** عيد يناير، أمازيغ، بني سنوس، شعائر، الجزائر.

### Resumen

En este estudio intentamos dar a conocer las razones de la celebración de la fiesta de enero por los amazigh en la ciudad de Banī Snūs (Tremecén). Expondremos algunos aspectos de los rituales de este gran día, que se explican por algunas de las creencias que son el resultado de las conocidas leyendas populares en esta zona de Argelia.

**Palabras claves:** Fiesta de enero, *amazigh*, Banī Snūs, leyendas, Argelia.

## 1. لمحة عن الأمازيغ

أ- تعريف كلمة أمازيغ: اتفق الكثير من الباحثين ومنهم رفيق بن حصير على ان كلمة امازيغ مفرد تجمع على إيمازيغن ومؤنثه «تمازيغت»، وجمع المؤنث «تمازيغين»، ويحمل هذا اللفظ في اللغة المازيغية معنى الانسان الحر النبيل او ابن البلد، وصاحب الارض، ويجعلها بعضهم نسبة لابيهم الاول «مازيغ»<sup>1</sup>.

ب- أصل الأمازيغ: اختلف الباحثون في تأصيل كلمة امازيغ، واختلفوا ايضا في أصلهم، فهناك زمرة من الدارسين التي ارتبطت بالمرحلة الاستعمارية الفرنسية، حاولت ان ترجع الأمازيغ الى أصول اوروبية وذلك بدوافع استعمارية واضحة من اجل ربط المغرب العربي بفرنسا من جانب، او احداث شرخ في صفوف الوحدة الوطنية التاريخية بين ابناء الشعب العربي المغربي من جانب، بل ان نفرا من هؤلاء اشتط في رايه الى درجة التشكيك في اسلام الأمازيغ، بيد ان أغلب الآراء والدراسات، ترجع أصول الأمازيغ الى جذور سامية حامية، هاجروا من جنوب الجزيرة العربية الى شمال افريقيا<sup>2</sup>. ونحن كباحثين ومن خلال قراءتنا لبعض المصادر والمراجع توصلنا الى ان الامازيغ هم السكان الاصليين للبلد، فاصلهم محلي وهم موجودون بشمال افريقيا منذ القديم، ولم يهاجروا اليها. وتفاعلو وتمازجوا مع سلالات اخرى جاءت الى شمال افريقيا نتيجة الحروب او التجارة او التقلبات المناخية وغيرها.

## 2. تحديد موقع بني سنوس وأصلهم ومعنى تسميتهم

أ- الموقع: تقع بين سنوس على بعد 35 كلم من الشمال الغربي لمدينة سبدو وهي تشغل حوضا واسعا من اعالي وادي تافنة المحصور بين جبال عالية، والتلاحم مع وادي الخميس الذي ينبع من جبال المشاميش الواقع على الحدود المغربية. يحدها غربا بنو سعيد، ومن الشمال منطقة بني هديل، ومن الشرق اولاد نهار، ومن الغرب جبال المشاميش على الحدود المغربية<sup>3</sup>.

1 رفيق بن حصير، الأمازيغية والأمن الهوياتي في شمال افريقيا، دراسة حالة الجزائر والمغرب، مذكرة ماجستير، 2012-2013، باتنة، ص62

2 رفيق بن حصير، المرجع السابق، ص70

3 ص39 بن عيسى عبد الكريم، الملامح المسرحية في احتفالية ايراد بمنطقة بني سنوس، مذكرة ماجستير، جامعة تلمسان، -2002،

**ب- التسمية ومعناها :** أصل كلمة « بني » هي « بن » وفي اللغة العربية « ابن »، وفي مقابل اللغة الأمازيغية « ايت »<sup>4</sup> واسم بني سنوس مشتق من كلمة بربرية « سنوس » أو « اسبونس » والتي تعني صغير الحمار أو الجحش، وهذا الأخير هو الوسيلة المريحة للتنقل في المنطقة، وكان حيوانا اليفا ومستغلا بكثرة في شمال افريقيا، ولهذه الأهمية يحرم قتله أو تعذيبه، وتقام له احتفالات خاصة به ( يستعمل في ايراد )، ومن هنا جاءت التسمية البربرية Ayt-asnus، وقد كانت تدعى فيما مضى « سنوسا »، وبعدها الجبل الأخضر<sup>5</sup>.

**ج- أصل بيني سنوس :** يرجع نسبهم الى قبيلة زناتة، وزناتة كما عرفها الباحثون جماعة عرقية أمازيغية من شمال افريقيا، وكان استقرارهم في الجزائر وتونس والمغرب وليبيا. وسكان بني سنوس هم جماعة الخميس البربرية يضمون قبيلة العزايل وبني عشير، وبني زيدار، واهل الخميس، واهل الكاف يتكلمون البربرية<sup>6</sup>.

### 3. الإحتفال بعيد ينابير في منطقة بني سنوس

**أ- تعريف الإحتفال :** جاء في معجم الفيروزبادي ان كلمة الإحتفال لغة هي من حفل الماء واجتماعه، يحفل حفلا وحفولا وحفيلا اجتمع كتحفل، وتحفل تزين، والمجلس كثر اهله<sup>7</sup>. والحفل لغة بمعنى الاجتماع والاحتشاد والتجمع، وتزين الشيء ووضوحه، وهو لا يبتعد كثيرا عن المفهوم الاصطلاحي للحفل، والاحتفال باجتماع الناس واحتفالهم واحتشادهم في ابهى زينة واجمل حلة، وظهورهم للعيان، من خلال حفلهم أو احتفالياتهم الشعبية<sup>8</sup>. ويعرفه مصطفى شاكر انه تجمع عدد من افراد المجتمع، بهدف التعبير عن وجهات نظر مشتركة بفعاليات منظمة رمزية، تؤدي في مناسبات معلومة<sup>9</sup>.

4 نجا العجال، الطقوس الاحتفالية في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني 1830-1518، دراسة في الاحتفالات الشعبية الدينية، مذكرة ماستر، جامعة الوادي، 2014/2013، ص39  
5 Mohamed Sanidji, « Venveine fiannée » coutume et traditions du pays des Bensous, édition : Dar El Gharb, tome 1, 2001, pp. 32-34

6 ادmond ديستان، بن حاجي سراج، بني سنوس في النصف الاول من القرن العشرين، تقديم وتعريب محمد حمداوي، موفم للنشر، 2011م، ص75

7 الفيروزبادي، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1979 / ج3، ص347  
8 ادريس قرقوي، الطقوس والشعائر الاحتفالية في النص المسرحي، Programme nationale de recherche culture et civilisation, PNR, 25, édition DGRSDT CRASC ص21

9 مصطفى شاكر سليم، قاموس الانثروبولوجيا، جامعة الكويت، ط1، 1981، ص161.

يتزامن الاحتفال بعيد يناير في منطقة بني سنوس في اليوم الثاني عشر والثالث عشر من شهر جانفي، وهو تقليد راسخ ليس في الثقافة الجزائرية فحسب، بل في ثقافات أخرى في شمال إفريقيا كالمغرب وتونس وليبيا وموريتانيا. وهو يشبه عيد النيروز الذي يحتفل به شعوب آسيا الوسطى والصغرى والغربية. وعيد النيروز أو النيروز، والأولى اصح ومعناها اليوم الجديد أي بداية السنة الجديدة عند الفرس. وجرت العادة أن يحتفل الفرس بعيد الحصاد في أول أيام سنتهم الشمسية<sup>10</sup>. كما تحتفل بهذا أيضا مصر وتركيا وبلاد الرافدين وغيرهم. فلا شك أنها ظاهرة تحمل في طياتها آثار الحضارات التي عرفها الإنسان منذ آلاف السنين والتي تفاعلت وتمازجت فيما بينها واشتركت في الكثير من العادات والطقوس والمعتقدات.

وهذا العيد بالنسبة للأمازيغ هو تقليد مرتبط بالطبيعة والموسم الفلاحي، لا يخفى على أي واحد منا علاقة الإنسان بالطبيعة في جميع المجتمعات التقليدية، حيث كانت في أغلبها تتسم بالتوتر والقلق والخوف، لذا كان يلجأ الإنسان إلى بعض الشعائر والطقوس لاستعطاف القوى الخفية للطبيعة وليكون العام الجديد عام خير وبركة ورزق وفير.

وهذه الشعائر والطقوس التي يقوم بها الإنسان ليتقرب من الطبيعة والسيطرة عليها يسميها الأنثروبولوجيون «شعائر وطقوس التعضيد أو التقوية»، ونجدها في هذه المجتمعات تتخذ شكل الاحتفالات أو الطقوس الدورية السنوية خاصة لدى الجماعات التي يعتمد اقتصادها على الزراعة وذلك بغرض اظهار الاحترام والتوقير للقوى فوق الطبيعية، وللقوى الخاصة بالخصوبة<sup>11</sup>. كما ترتبط شعائر التعضيد بأزمات المجتمع وبالمشكلات التي يتعرض لها كالمجاعات والأوبئة وعدم سقوط الأمطار فوق الطبيعية لمساندتهم للتخلص من تلك الازمة أو المشكلة<sup>12</sup>. فالإنهار بالطبيعة ومحاولة السيطرة عليها وحل الغازها وغريبها دفعت بالإنسان إلى تقديسها حيناً والاحتفال بكل ذلك حيناً آخر.

10 احمد مختار العيادي، في التاريخ العباسي والاندلسي، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1971، ص 190.

11 مرفت العشماوي، دورة الحياة، دراسة للعادات والتقاليد الشعبية، دار المعرفة الجامعية، 2011، ص 30

12 المرجع نفسه، ص 30

ويحمل الاحتفال بعيد يناير حسب الباحثين معينين :

**المعنى الأول :** تعود حكاية راس السنة الامازيغية الى يوم انتصار الملك الامازيغي شيشناق على الملك رمسيس الثالث من اسرة الفراعنة عام 950 قبل الميلاد، وعندما عزم الملك رمسيس على احتلال شمال افريقيا وحسب اعتقاد الامازيغ ان المعركة درات رحاها في منطقة بني سنوس، باحد المرتفعات الجبلية بين قريتي بني زدار وبني عشير، حيث تحتفل جميع قرى المنطقة وتقيم سنويا كرنفال « ايراد » في الثالث عشر يناير من كل سنة . وتعني كلمة « ايراد » الاسد ربما مقارنة لقوة ملكهم شيشناق وسلطانه بسطان الغابة الاسد<sup>13</sup>.

**المعنى الثاني :** تفسره اسطورة شائعة عند البربر القدماء تسمى « اسطورة العجوز » مفادها ان هناك عجوزا ترعى الماعز، فبعد انقضاء شهر يناير المتميز بغزارة الامطار والثلوج فرحت لان هذا الجو يقلق الرعاة، فودعته بقولها باللغة الامازيغية : « اقشوط اثيطيك اعمي يناير »، وهذه العبارة تفيد التشفي من رحيل شهر يناير، فغضب يناير من موقف العجوز، فقصف شهر فبراير طالبا منه ان يعيره يوما واحدا حتى ينتقم من العجوز قائلا له :

اتخيلك اعمي فورار ارضلي ليلة ونهار  
نرمي لعجوز فالنار

فكان له ما اراد وبذلك تقلص شهر « فورار » فيفري الى 28 يوما، ولما خرجت العجوز بماعزها الى الجبال، تساقطت امطار وثلوج وهلكت العجوز بماعزها<sup>14</sup>.

#### 4. شعائر وطقوس الإحتفال بعيد يناير

الاحتفال بهذا اليوم احتفال جرى عليه العرف وتعود عليه سكان بني سنوس، ويعتقد الامازيغ ان من يحتفل بعيد يناير يمضي سنة سعيدة، ويبعد العين وشر الحسد . يحتفل بالسنة الجديدة يومي 12 و13 من شهر جانفي « و يسمى اليوم الاول يوم نفقة الكرموس والثاني نفقة اللحم »<sup>15</sup>. ويستغرق هذا التحضير اياما ولا سيما في القرى الجبلية. واول هذه التحضيرات ان تجمع النساء الحطب من الغابة وانواعا من النباتات مثل البسباس والجروب والزيتون وغيرها . وهي ترمز الى الخير والبركة، كما يتجنب

13 عبد الكريم بن عيسى، مرجع سابق، ص46

14 نجاة العجال، مرجع سابق، ص39

15 المرجع نفسه، ص40

اهل بني سنوس النباتات التي لها طعم مر لأنها ترمز لمرارة المعيشة وبالتالي سيكون لها تأثير على حياتهم وعلى العام الجديد في اعتقادهم . كما تقوم النساء بجلب التربة الحمراء لصنع موقد جديد، وبعد ان يجف توقد النار فيه . وتجديد الموقد يعني تجديد حياتهم زهم ( سكان بني سنوس ) يأملون ان تكون عيشتهم كلها خير وفلاح ونجاح في كل المجالات .

أما حرصهم على اشعال النار فلا شك ان لهذا العمل معناه الكامن . فللنار جذور دفينه في النفس البشرية . ظهرت النار عند الشعوب البدائية الاولى كحاجة طبيعية، لكن بتقدم الزمن استحوذت على الاعجاب والتمجيد ، ومن ثمة العبادة والتقدير . فاستعمال النار في هذا اليوم يتعدى استعماله الطبيعي المتمثل في اشعال الحطب ، والنار في مثل هذا اليوم اشعاع ونور يحلان على العام الجديد ويطرحان الخير والبركة والانتاج الوفير .

نستخلص مما سبق ان من تجارب الانسان ضمن اعتقاداته الاولى بالأشياء انه يتفاعل، اي يستبشر خيرا مما يعتقد انه سيفيده، وينتفع منه، وهو يتشأنم، اي يتوقع شرا، مما يعتقد انه سيضره . والتشاؤم والتفاؤل هما حصيلة تلك المعتقدات الشعبية المتوارثة . وما يبعث المتعة عند أمازيغ بني سنوس هو تجمع النساء ومساعدة بعضهن البعض في تحضير الخبز والحلويات و«السفنج» و«التريد» و«الشرشم» و«البركوكس»، فهن يدركن تماما ما للتعاون من قيمة كبرى في حياتهن اليومية .

وما يلفت الانتباه ويجلب النظر الخبز المزين باللوز والبيض، ونحن نتساءل لماذا يتم وضع بيضة في كل خبزة؟ الى ماذا يشير البيض في مثل هذه المناسبات؟ لعل هذا مرتبط ببعض المعتقدات والاساطير الشعبية «فللبیضة دور هام في الافكار الخاصة ببداية العالم، لان الحياة خرجت منها . وطبقا لأسطورة قديمة خرج الاله الاول الى الوجود من بيضة وضعت في احراش احدى المستنقعات»<sup>16</sup> . كما تشير البيضة الى البيضة الكونية في التراث البرهماني، ويقصد بها البيضة التي خرج منها في فجر الازمنة الاله الاول، والخالق الذي اطلقت عليه التسميات المختلفة من بينها الجنين الذهبي»<sup>17</sup> . كما للبيض رموز ودلالات اخرى اذ له جذور وصلت بمعتقدات شعوب اخرى، اذ يعتقد انه رمز للغنى والثروة والخصوبة .

16 مانفرد لوكر، معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة، ترجمة صلاح الدين رمضان، مراجعة

محمد ماهر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2000، ص80

17 مارسيا الياد، رموز واشارات، ترجمة حسين كاسوده، منشورات بوزارة الثقافة، دمشق، 1998، ص104

نستخلص مما سبق ان وضع البيضة في الخبز ليس فعلا ليا او تفكيريا ساذجا، بل عمل يحمل في طياته معنى عميقا يتمثل في جلب الحظ وتوفير المحصول والاكثر من الخيرات لان البيض رمز للرفاهية والثروة والخصوبة عند اغلب الشعوب .

ومن الممارسات الشعبية الاخرى التي يقوم بها سكان بني سنوس احتفلا بعيد يناير؛ ذبح ديك لإعداد عشاء الناير، المتمثل في « التريد المسقى بحساء الدجاج » وهذه اكلة تقليدية مميزة وخاصة بالمنطقة . وذبح الدجاج اي « تسيل الدم على العتبة » هو قربان الخصوبة، ولتوفير المحصول وابعاد الجوع، ولتتم البركة وليعم الخير في حلول السنة الجديدة خاصة، وان هؤلاء كما يقول الدكتور عبد الحميد حاجيات « يعيشون على المناطق الزراعية، ويتغذون من خضرها وفواكهها واملهم ان تكون هذه السنة الجديدة احسن واجود من السنة الماضية»<sup>18</sup> . ولعل عادة تسيل الدم هي من رسوبات العادات الوثنية القديمة، حيث كان العرب قديما يسكبون دم الاضحية على رؤوس الالهة وانصابها لترتوي، مما يعني ان دم الاضحية يتحد بدم الاله، ومن ثم تحصل البركة للمضحى جسدا وروحا . حيث ان هذه الاعمال كلها لها دلالات نابعة من معتقدات قديمة، فلا ينتبه اليها الناس حاليا، وتندرج في اطار الدراسات السميائية خاصة، والاعتقادية عامة، وقد ترجع الى عهود قديمة جدا، والى ممارسات الديانات الوثنية<sup>19</sup> .

كما جرت العادة ايضا بعد العشاء في هذه المنطقة ان يجتمع الاهل والاقارب ليتناولوا انواعا من الثمار المجففة « كالكرمس » والتمر وبعض المكسرات كاللوز والجوز والبقول السوداني « الكاوكاو »، وبعد الانتهاء من الاكل لا بد ان يتركوا البعض منها فوق المائدة ولا يكنسون الحجرة اعتقادا منهم ان « عجوز يناير » تأتي في الليل لتأكل ما بقي، وان لم تجد شيئا فسوف تلحق الاذى والضرر بهم .

وأخر ما نختم بهذه الدراسة هو اقامة كرنفال « ايراد » ويعني الاسد، وهو مكون من عدة شخصيات، منها شخصيات رئيسية واخرى ثانوية، تشترك كلها في انها تضع اقنعة على وجهها، والفئة الغالبة في هذه المجموعة هي فئة الاسد . فتمثل الانسان في صورة الاسد يدل على القوة والعنف، ويرمز الزئير الى اثاره الخوف والدهشة . والطبيب رمز لمداداة وعلاج الجرحى، والموسيقى والعزف على آلة « الغايطة والبندير » دلالة على الانتصار والفوز والغلبة<sup>20</sup> .

18 عبد الحميد حاجيات، محاضرة عيد يناير، جامعة تلمسان، 2002م

19 المرجع نفسه

20 للتوسع اكثر انظر محاضرة الدكتور عبد الحميد حاجيات، مرجع سابق .

هذه الطقوس والشعائر والتي تكون لفظية وحركية، هي في الاصل فعل يقوم على استحضار حالة من الماضي (اسطورة او حادثة او خرافة) كواقعة<sup>21</sup>. ومن يلاحظ الكرنفال الذي يتم في فضاء واسع في شوارع المنطقة، يخيل اليه انه مسرح، والمسرح كطقس احتفالي من وجهة نظر انثروبولوجية يعد فطرة راسخة عند الشعوب وشكلا من اشكال وعيها وشعورها، ويتداخل فيه الواقع بالأسطورة، والدين بالخرافة والوعي باللاوعي، ومن وجهة النظر هذه يبدو التعبير الدرامي هاجسا انسانيا مشتركا ومتنفسا للوجداني والفكري<sup>22</sup>، فالكرنفال رمز يخلد ويسجل تاريخ المنطقة.

من خلال ما ذكر سابقا نتوصل الى بعض النتائج اهمها:

– يعتبر عيد يناير في منطقة بني سنوس جزءا من تراثها التليد، والاحتفال به هو اعادة وقراءة لتاريخها.

– الممارسات والطقوس والشعائر التي ترافق هذا الاحتفال بعيد يناير ترجمة واداء للمعتقدات الشعبية التي تفسرها الاسطورة والخرافة في المنطقة.

– يحمل عيد يناير في طياته آثار الحضارات التي عرفها الانسان منذ آلاف السنين، وما صاحبها من عادات ومعتقدات.

– عيد يناير بالنسبة للأمازيغ (بني سنوس) تقليد مرتبط بالطبيعة والموسم الفلاحي والامازيغي، محب لأرضه وطبيعته، وهو يقوم بهذه الطقوس والشعائر لاستعطاف القوى الطبيعية لترضى عنه، وتسخر له الكون ولتقدم له عاكافا جديدا حافلا بالخيرات والبركة والانتاج الوفير.

21 ادريس قرقوي، مرجع سابق، ص22

22 المرجع نفسه، ص25



### قائمة المراجع والمصادر :

- احمد مختار العيادي، في التاريخ العباسي والاندلسي، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1971
- ادريس قرقوي، الطقوس والشعائر الاحتفالية في النص المسرحي، Programme Nationale de Recherche Culture et Civilisation , PNR, 25, édition : DGRSDT CRASC
- ادموند ديستان، بن حاجي سراج، بني سنوس في النصف الاول من القرن العشرين، تقديم وتعريب محمد حمداوي، موفم للنشر، 2011م
- بن عيسى عبد الكريم، الملامح المسرحية في احتفالية ايراد بمنطقة بني سنوس، مذكرة ماجستير، جامعة تلمسان، 2003-2002
- رفيق بن حصير، الأمازيغية والأمن الهوياتي في شمال افريقيا، دراسة حالة الجزائر والمغرب، مذكرة ماجستير، 2013-2012، باتنة
- عبد الحميد حاجيات، محاضرة عيد يناير، جامعة تلمسان، 2002م
- الفيروزبادي، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1979/ ج3
- مارسيا الياد، رموز و اشارات، ترجمة حسين كاسوده، منشورات بوزارة الثقافة، دمشق، 1998
- مانفرد لوكر، معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة، ترجمة صلاح الدين رمضان، مراجعة محمد ماهر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2000
- مرفت العشماوي، دورة الحياة، دراسة للعادات والتقاليد الشعبية، دار المعرفة الجامعية، 2011
- مصطفى شاکر سليم، قاموس الانثروبولوجيا، جامعة الكويت، ط1، 1981
- نجا العجال، الطقوس الاحتفالية في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني 1518-
- 1830، دراسة في الاحتفالات الشعبية الدينية، مذكرة ماستر، جامعة الوادي، 2014/2013
- Mohamed Sanidji, *Venveine fiannée : coutume et traditions du pays des Bensous*, édition : Dar El Gharb, tome 1, 2001.

